لطائف التعبير القرآني في

آيات الدعاء

تأليف الدكتور
محمود أحمد سعيد الأطرش
دكتوراة في التفسير وعلوم القرآن الكريم






بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الدعاء عبادة من أهم العبادات التي تربط الإنسان بربه وخالقه ، وهو أمر فطري في الإنسان ، إذ يشعر بحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد .

وقد تضافرت الأدلة في بيان فضل الدعاء ، قال ﷺ : « **الدعاء هو العبادة** » (١) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ، ويَدَعُ ما سوى ذلك** » (٢) ، وقال ﷺ : « **ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء** » (٣) ، وقال أيضًا : « **من سرَّه أن يستجيب الله تعالى له في الشدائد والكُرَب ، فليكثر الدعاء في الرخاء** » (٤) .

وآيات الدعاء وردت في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والصالحين ، أو بتعليم من الله لعباده كيف يدعونه ، والمتأمل فيها يجد أنها من جوامع الدعاء ، وقد ركزت على المغفرة والدعاء للآباء والذرية وللمؤمنين ، والدعاء بالجنة والوقاية من عذاب النار .

كما أن أكثر آيات الدعاء صُدِّرت بالنداء بربّ وربنا ، وقليل منها

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٧٩) الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) ، بيروت . والترمذي في التفسير (٢٩٧٥) ، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨) الطبعة الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ، دار الحديث ، القاهرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٨٢) .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٩٣٦٢) الطبعة الثانية (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت والترمذي في الدعوات (٣٣٧٩) وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٩) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٤٩٠) ، طبعة مكتبة المعارف الرياض ، بلا تاريخ . وابن حبان برقم (٨٧٠) الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٩١) ، والحاكم (١ / ٥٤٤) ، وصححه ووافقه الذهبي .

صُدِّر باللهم ، ولهذا الأمر دلالته ، وذلك أن صفات الله سبحانه تقسم إلى صفات ربوبية وصفات ألوهية ، وتوحيده توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية .

ومعنى توحيد الربوبية :

أنه وحده خالق كل شيء ، لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير والملك ، وغير ذلك من الصفات التي يدل عليها اسم الرب .

أما توحيد الألوهية :

فيعني استحقاقه عز وجل أن يُعبد وحده لا يُشرك به شيء [(١)] . فدعاؤه بصفة الربوبية لكن إجابة الدعاء تتعلق بذلك .

وقد تميز أسلوب القرآن الكريم بفصاحة ألفاظه ، وقوَّة بيانه ، ودقة معانيه ، وأسلوبه الفريد الذي لا يشبهه أسلوب .

وفي هذا البحث دراسة بلاغية لآيات الدعاء في القرآن الكريم ، تناولت فيه بلاغة القرآن الكريم في تعبيره عن آيات الدعاء ، والتي تبين إعجازه البلاغي في اختيار الألفاظ المناسبة التي تُنبئ عن المعنى ، وأنها من جوامع الدعاء وأبلغه .

كتبه

محمود أحمد سعيد الأطرش

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

---

(١) انظر : عليّ بن عليّ ، ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤) تحقيق التركي والأرناؤوط ، الطبعة الثالثة (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

سورة الفاتحة

قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة : ٥ – ٧] .

الهداية هي :

دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ، واختصت بالخير ، أما قوله تعالى : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٣] ، فإنه وارد على نهج التهكم [١] .

وقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بدل من قوله : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

« وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه ، لأنه جُعل كالتفسير والبيان » [٢] .

أما قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ فهو بدل من ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ على معنى أن المُنْعَمَ عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ، أو صفة له ، على معنى أنهم جمعوا بين النعمتين : نعمة الإيمان والسلامة من ذلك [٣] .

---

(١) أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي : تفسير أبي السعود ، المسمى « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(١ /١٧) الطبعة الرابعة ١٩٩٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) البيضاوي ، عبد الله بن عمر : تفسير البيضاوي ، المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » (١/١٨) ، الطبعة الأولى ، (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ، دار الرشيد ، دمشق .

(٣) الشوكاني ، محمد بن عليّ : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(١ / ٧٥) الطبعة الأولى (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، دار الوفاء ، مصر .

وفي هذه الآيات تعليم للمسلم لطلب الهداية ، والهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة ، وهي الأساس في مفترق الطرق ، ولهذا كان التعريض بالمغضوب عليهم وهم اليهود وبالضالين وهم النصارى ، فليس كل من يدعي العبادة والهداية هو على حق في ذلك .

سورة البقرة

أولاً : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة : ١٢٦ – ١٢٩] .

في هذه الآيات مجموعة من الأدعية من إبراهيم وولده إسماعيل – عليهما السلام – ويمكن إجمال الأسرار البيانية والنكات البلاغية على النحو التالي :

﴿ ١ ﴾ دعاء إبراهيم عليه السلام أن يجعل هذا البلد – وهي مكة – بلداً آمناً ، وأن يرزق أهله المؤمنين من الثمرات لكونه بلداً غير ذي زرع ، والملاحظ أن الدعاء هنا ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا** ﴾ بينما حكي القرآن قوله في سورة إبراهيم ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا** ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، حيث ورد لفظ بلد في الأولى منكراً وفي الثانية معرفة ، فقد يراد به تكرار السؤال ، لما أنه عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين : البلدية والأمن ، فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر له لما تقتضيه الحكمة الباهرة ، ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال ، أو كان المسؤل أولاً البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد ، وقد أُجيب

إلى ذلك ، وثانيًا : الأمن المعهود ... وإن أريد به وحدة السؤال وتكرر الحكاية – كما هو المتبادر – فالظاهر أن المسؤول كلا الأمرين ، وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل أفئدة الناس تهوي إليه [١] .

﴿ ٢ ﴾ دعاء إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – أن يتقبل الله عملهما ، فيرفعان القواعد من البيت قائلين : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ « والعدول عن ذكر القول إلى نطق المتكلم بما قاله المحكي عنه هو ضرب من استحضار الحالة قد مهد له الإخبار بالفعل المضارع ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ ﴾ حتى كأن المتكلم هو صاحب القول ، وهذا ضرب من الإيغال ، وجملة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ تعليل لطلب التقبل منهما » [٢] .

وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى لإظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية [٣] .

﴿ ٣ ﴾ وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ فقد كرر النداء بقوله : ﴿ رَبَّنَا ﴾ ، وفائدته : « إظهار الضراعة إلى الله تعالى ، وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات ، ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى ، فإن الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء » [٤] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (١/١٥٨) .
(٢) ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير (١/٧٠٠) ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) ، مؤسسة التاريخ ، بيروت .
(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود (١/١٦١) .
(٤) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١/٧٠٠) .

والمراد من جعلهم مسلمين طلب الزيادة والإذعان أو الثبات عليه ، وتخصيص الذرية بالدعاء « لأنهم أحق بالشفقة ، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع »[١] ، و ﴿ مِنَ ﴾ في قوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا ﴾ للتبعيض أو للتبيين ، وفي التبعيض إشارة إلى أمة محمد ﷺ ، أو لعلمها أن في ذريتهما ظلمة[٢] .

وقوله : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أي متعبداتنا في الحج أو مذابحنا ، أما قوله : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهواً ، ولعلهما قالاه هضماً لأنفسهما وإرشاداً لذريتهما[٣] .

وفي هذا الدعاء إشارة لما ينبغي على المرء من الاهتمام بذريته ، وبيان نعمة الله العظمى على المرء حينما تصلح ذريته ، فالإنسان يستمر أجره بعد وفاته بدعاء أولاده له ، والذرية الصالحة ليست هي صدقة جارية فحسب ، بل هي صدقة جارية نامية يستفيد منها الإنسان بعد وفاته ما دامت هذه الذرية الصالحة تفعل الخير ، والذرية الصالحة تتكون من خلال أسباب معينة يبذلها المرء ، أولها المرأة الصالحة ثم الأسرة المسلمة ، وتكتمل بالدعاء بجعل الذرية صالحة في حياته وفي عقبه .

وهذا إبراهيم عليه السلام يغتنم كل فرصة للدعاء لبنيه وذريته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

---

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي (١ / ١٣٧) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود (١ / ١٦١) ، والبيضاوي (١ / ١٣٨) .

إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[البقرة : ١٢٤] ، وقال : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي** ﴾[إبراهيم : ٤٠] .

كما يشير ذلك الدعاء إلى اهتمام المؤمن لأن تكون ذريته مؤمنةً صالحة ، لا بما يحرص عليه ضعيف الإيمان من الاهتمام بتأمين أولاده من الناحية المادية والدنيوية دون الناحية الإيمانية .

يقول سيد قطب [١] - رحمه الله - :

« وشعور إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما، نعمة الإيمان، تدفعهما إلى الحرص عليها في عقبهما ، وإلى دعاء الله ربهما ألا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام ، لقد دعوا الله ربهما أن يرزق ذريتهما من الثمرات ولم ينسيا أن يدعواه ليرزقهم من الإيمان ، وأن يريهم جميعًا مناسكهم ويبين لهم عباداتهم ، وأن يتوب عليهم » [٢] .

﴿ ٤ ﴾ قوله : ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾ فقد كرر النداء هنا « لأنه عطفُ غرضٍ آخر في هذا الدعاء ، وهو غرض الدعاء بمجيء الرسالة في ذريته لتشريفهم وحرصًا على تمام هديهم ، وإنما قال : ﴿ **فِيهِمْ** ﴾ ، ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة ، فلا يكون ذلك الرسول

---

(١) سيد قطب : كاتب وعالم بالتفسير ، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين ، ولد عام ١٣٢٤هـ في إحدى قرى أسيوط ، وتوفي بالقاهرة عام (١٣٨٧هـ – ١٩٦٦م) . انظر معجم المفسرين (١ / ٢١٩) ، عادل نويهض ، الطبعة الثالثة (١٩٨٨م) ، مؤسسة نويهض بيروت .

(٢) سيد قطب : في ظلال القران (١ / ١١٥) ، الطبعة الحادية عشرة ، (١٩٨٥م) ، دار الشروق ، القاهرة .

رسولاً إليهم فقط » [١] .

وقد استجيبت دعوة إبراهيم وإسماعيل ببعثة محمد ﷺ ، كما قال ﷺ : « **أنا دعوة إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أُمِّي** » [٢] ، والملاحظ أن الاستجابة لدعوتهما كان بعد قرون طويلة ، لكن لاستجابة الدعوة وقت معين بحسب قدر الله .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« إن الدعوة المستجابة تستجاب ولكنها تتحقق في أوانها الذي يقدره الله بحكمته ، غير أن الناس يستعجلون » [٣] .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)** ﴾ [البقرة : ٢٠٠ ، ٢٠١] .

يذكر القرآن الكريم في هاتين الآيتين صنفين من الداعين لله تعالى ، يتبين فيهما نفسية كل صنف :

[١] الصنف الأول :

« يقول : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا** ﴾ أي : اجعل إيتاءنا ومنحتنا في الدنيا

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١ /٧٠٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤ /٢٧٩) وابن حبان في الموارد (٢٠٩٣) والحاكم في المستدرك (٢ /٤١٨) ، وابن سعد في الطبقات (١ /١٤٨) دار صادر ، بيروت . والطبراني في الكبير (١٨ /٢٥٣ رقم ٦٢٩) ، مطبعة الوطن العربي ، بغداد ، والبيهقي في دلائل النبوة (١ /٨٣،٨) الطبعة الأولى (١٩٨٨م ، دار الريان بيروت . والحديث صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٤٦) ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (١ /١١٥) .

خاصة ، فهم يطلبون العطاء في الدنيا أيًا كان شكله وأثره على الحياة ، والله سبحانه يعطي الناس في الدنيا ، المؤمن والكافر ، والعاصي والفاسق ، والمتكبر والمتجبر ، لكن شكل العطاء يختلف ، فيعطي العبد المؤمن ليزداد شكرًا وخيرًا ، ويعطي غيره استدراجًا من حيث لا يعلم ، ولذلك ورد في طلب المؤمن ﴿ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ، وهذا الصنف يدعو هذا الدعاء ﴿ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ أي : نصيب ، وفي هذه الآية وعيد لمن جعل همه في الدعاء في أمور الدنيا » (١) .

[٢] أما الصنف الثاني :

فهو الذي يطلب خير الدنيا والآخرة ، والمراد بالحسنة ما يشمل كل خير في الدنيا والآخرة (٢) ، والمراد بالآية الدعاء في ألا يكون المرء ممن يدخلها بمعاصيه وتخرجه الشفاعة (٣) .

وهذه الآية من جوامع الدعاء التي تجمع خير الدنيا والآخرة ، وهذا الدعاء كان أكثر دعاء النبي ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٤) .

---

(١) القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٣٢) ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) الآلوسي ، محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/٩١) ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م) ، دار إحياء التراث العربي ، والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٣٢) .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٣٣) .

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٩) الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، دار الفكر ، بيروت . ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث رقم (٢٦) الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ، دار الخير ، دمشق وبيروت .

وقيل لأنس رضي الله عنه : ادع الله لنا ، فقال : « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، قالوا : زدنا ، قال : ما تريدون ؟ ، قد سألت الدنيا والآخرة [١] .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وقد تضمن دعاؤه خير الدارين في اعتدال وفي استقامة على التصور الهادئ المتزن الذي ينشئه الإسلام ، إن الإسلام لا يريد من المؤمنين أن يدعوا أمر الدنيا ، فهم خُلقوا للخلافة فيها ، ولكنه يريد منهم أن يتجهوا إلى الله في أمرها وألا يضيّقوا من آفاقهم ، فيجعلوا من الدنيا سوراً يحصرهم فيها ، إنه يريد أن يُطلق الإنسان من أسوار هذه الأرض الصغيرة ، فيعمل فيها وهو أكبر منها ، ويزاول الخلافة وهو متصل بالملأ الأعلى ، ومن ثم تبدو الاهتمامات المقصورة على هذه الأرض ضئيلة هزيلة وحدها حين ينظر إليها الإنسان من قمة التصور الإسلامي » [٢] .

ثالثًا : قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)** ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

طلبوا إفراغ الصبر عليهم لشدة الموقف الذي يتعرضون له - بعدما أظهر الأكثرون الذين شربوا من النهر- عجزهم عن ملاقاة جالوت وجنوده.

وفي هذا الدعاء من اللطافة وحُسن التعبير ما لا يخفى ، والتي يمكن إجمالها بالتالي :

[١] الإفراغ معناه الصبّ ، أي صبّ علينا الصبر صبًا ، وذلك لشدة

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٤٣٣) .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (١ / ٢٠٢) .

حاجتهم إليه ، والإفراغ يفيد معاني الكثرة (١) .

[٢] تنكير الصبر المُفصحُ عن التفخيم .

[٣] إظهار وصفهم بالكفر ، فقالوا : ﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقولوا : وانصرنا عليهم للإشعار بعلّة النصر عليهم (٢) .

[٤] في الدعاء ترتيب بليغ « إذ سألوا أولاً إفراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبّب عنه ، ثم النصر على العدو المترتب عليها غالبًا » (٣) .

رابعًا : قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦] .

في هاتين الآيتين عدد من الأدعية ، وهي :

[١] قوله : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ فقد قدَّم السمع والطاعة على طلب المغفرة لأن تقدم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول (٤) .

[٢] قوله : ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ أي : لا تؤاخذنا بما

---

(١) الشوكاني : فتح القدير(١/ ٣٣٩) .

(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود(١/ ٢٤٤) .

(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي(١/ ٢١٣) .

(٤) أبو السعود : تفسير أبي السعود(١/ ٢٧٦) .

أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة ، وعلى الرغم من أنه سبحانه وتعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلاً ، لكن يجوز للإنسان أن يدعو به استدامة واعتداداً بالنعمة فيه (١) .

[٣] قوله : ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ﴾ الإصر هو العبء الثقيل ، والمراد به التكاليف الشاقة ، والمعنى : لا تكلفنا ما كُلِّف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاةً في اليوم والليلة ، ورصف ربع المال للزكاة ، أو ما أصابهم من الشدائد والمحن (٢) ، وتكرير القول بـ﴿ **رَبَّنَا** ﴾ لإبراز مزيد الضراعة (٣) .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وهكذا فالمؤمنون يدعون ربهم ألا يحمل عليهم أثقالاً كالتي حملها على الذين من قبلهم ، فجاءت هذه العقيدة سمحة ميسرة هينة لينة تنبع من الفطرة وتتبع خط الفطرة على أن الإصر الأكبر الذي رفعه الله عن كاهل الأمة المسلمة هو إصر العبودية للبشر ، عبودية العبد للعبد ، ممثلة في تشريع العبد للعبد، فردهم إلى عبادته وحده وطاعته وحده ، وتلقي الشريعة منه وحده، ودعاء المؤمنين ﴿ **وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ﴾ يمثل شعورهم بنعمة الانطلاق والتحرر من العبودية للعبيد ، كما يمثل خوفهم من الارتداد إلى ذلك الدرك السحيق » (٤) .

---

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي (١ / ٢٣٩) .

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٤٠) .

(٣) أبو السعود : تفسير أبي السعود (١ / ٢٧٧) ، والشوكاني : فتح القدير (١ / ٣٨٥) .

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (١ / ٣٤٦) .

[٤] قوله : ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ أي : لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق ، أو هو عبارة عن إنزال العقوبات ، أي : لا تنزل علينا العقوبات بتفريطنا في المحافظة على تلك التكاليف الشاقة التي كلفت بها من قبلنا ، وقيل : المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف [(١)] .

[٥] قوله : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ ، ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ أي : امح آثار ذنوبنا بترك العقوبة ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ بستر القبيح وإظهار الجميل ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ وتعطف علينا بما يوجب المزيد [(٢)] .

ولم يأت في هذه الجمل الثلاث بقوله : ﴿ رَبَّنَا ﴾ لأنها فروع لهذه الدعوات الثلاث ونتائج لها .

قال أبو حيان [(٣)] - رحمه الله - :

« طلب العفو هو الصفح عن الذنب وإسقاط العقاب ، ثم ستره عليهم صونًا لهم من عذاب التخجيل ، لأن العفو عن الشيء لا يقتضي ستره ، فسألوا الإسقاط للعقوبة أولاً لأنه الأهم إذ فيه التعذيب الجسماني والنعيم الروحاني بتجلّي البارئ تعالى لهم ، والغفران ستر الذنب وإظهار الإحسان بدله ، فكأنه جمع بين تغطية ذنبه وكشف الإحسان الذي غطى به ،

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (١/ ٣٨٥) .

(٢) الألوسي : روح المعاني (٣/ ٧١) .

الألوسي : محمود بن عبد الله ، شهاب الدين أبو الثناء ، شيخ علماء العراق في عصره ، مفسر ، محدث ، فقيه ، أديب لغوي ، ولد ببغداد عام (١٢١٧هـ) ، وتوفي فيها عام (١٢٧٠هـ) ، معجم البلدان (٢/ ٦٦٥) .

(٣) أبو حيان : محمد بن يوسف ، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومؤرخه وأديبه ، ولد بالأندلس عام (٦٥٤هـ) ، وتنقل بمصر والمغرب والشام والحجاز ، وتوفي بالقاهرة عام (٧٤٥هـ) معجم المفسرين (٢/ ٦٥٥) .

والرحمة إفاضة الإحسان إليه ، فالثاني أبلغ من الأول ، والثالث أبلغ من الثاني » [١] .

وقال ابن عاشور [٢] رحمه الله - :

« لم يؤت مع هذه الدعوات بقوله : ﴿ رَبَّنَا ﴾ إما لأنه تكرر ثلاث مرات ، والعرب تكره تكرير اللفظ أكثر من ثلاث مرات إلا في مقام التهويل ، وإما لأن تلك الدعوات المقترنة بقوله : ﴿ رَبَّنَا ﴾ فروع لهذه الدعوات الثلاث ، فإذا استجيبت تلك حصلت إجابة هذه بالأولى ، فإن العفو أصل لعدم المؤاخذة ، والمغفرة أصل لرفع المشقة ، والرحمة أصل لعدم العقوبة الدنيوية والأخروية ، فلما كان تعميماً بعد تخصيص كان كأنه دعاء واحد » [٣] .

[٦] قوله : ﴿ **أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ حيث أتى بالفاء إيذانًا بالسببيَّة ، لأن الله تعالى لما كان مولاهم ومالكهم ومدبر أمورهم تسبب عنه أن دعوه بأن ينصرهم على أعدائهم » [٤] .

---

(١) أبو حيان ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط(٢ / ٣٨٥) الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، دار الفكر بيروت .

(٢) ابن عاشور : محمد الطاهر بن عاشور ، رئيس المفتين المالكيين بتونس في عصره ، مفسر لغوي نحوي أديب ، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني ، ولد بتونس عام (١٢٩٦هـ) ، وتوفي عام (١٣٩٣م) معجم المفسرين(٢ / ٥٤١) .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير(٢ / ٦٠٢) .

(٤) الألوسي : روح المعاني(٣ / ٧١) .

سورة آل عمران

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)** ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

كلمة ﴿ **اللَّهُمَّ** ﴾ في كلام العرب خاص بنداء الله تعالى في الدعاء ، ومعناه يا الله [١] ، وتعريف الخير للتعميم ، وتقديم الخير « بيدك » للتخصيص ، أي تتصرف فيه أنت وحدك حسب مشيئتك لا يتصرف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك [٢] ، وتخصيص الخير بالذكر لأن المقام مقام ترجي المسلمين الخير من الله [٣] .

وهذا الدعاء من جوامع الكَلِم ، وقد ورد فيه روايات ، منها : « عن معاذ رضي الله عنه أنه شكا إلى النبي ﷺ ديناً عليه فعلّمه أن يتلو هذه الآية ثم يقول : « **رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ، تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك ، اللهم أغنني من الفقر واقض عني الدين** » [٤] .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٣/٦٧) .
(٢) الألوسي : روح المعاني (٣/١١٥) .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٣/٦٨) .
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/١٥٤ ، ١٥٥) وفي سنده انقطاع كما في مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/١٨٩) الطبعة الثالثة (١٩٨٢م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لكنه ورد عند الطبراني في الصغير برقم (٥٥٨) الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت . من حديث أنس بسند جيد رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (١٠/١٨٩) ، وكما في الترغيب والترهيب للمنذري (٢٧١٦) الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، دار ابن كثير ، دمشق وغيرها .

ثانيًا : قوله : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** (٨) ﴾ [آل عمران : ٨] ، أي : لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه ، وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله ، وأنه سبحانه مُتفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء [١] ، وفي الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول : « **اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » ، قلت يا رسول الله أو أن القلوب لتنقلب ؟ ، قال : « **نعم ما من خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله عز وجل أقامه ، وإن شاء الله أزاغه** » [٢] .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« هذا هو حال الراسخين في العلم مع ربهم ، وهو الحال اللائق بالإيمان ، المنبثق من الطمأنينة لقول الله ووعده والثقة بكلمته وعهده ، والمعرفة برحمته وفضله، والإشفاق مع هذا من قضائه المحكم وقدره المغيب، والتقوى والحساسية واليقظة التي يفرضها الإيمان على قلوب أهله ، فلا تغفل ولا تفتر ولا تنسى في ليل أو نهار » [٣] .

وجاء لفظ ﴿ **رَحْمَةً** ﴾ منكرًا ومنونًا لتفخيمه ، وفي سؤال ذلك بلفظ الهبة إشارة إلى أن ذلك منه تعالى تفضل محصن من غير شائبة وجوب عليه سبحانه ، وتأخير المفعول الصريح ﴿ **رَحْمَةً** ﴾ للتشويق إليه [٤] ،

---

(١) البيضاوي : تفسير البيضاوي (١/٢٤٦) .
(٢) رواه أحمد (٦/٣٠٢) والترمذي (٣٤٢٢) وحسنه .
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (١/٣٧٠) .
(٤) الألوسي : روح المعاني (٣/٩٠) .

وأسلوب القصر في قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ « للمبالغة لأجل كمال الصفة فيه تعالى ، لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به »[١] .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : ٩] حيث « استحضروا عند طلب الرحمة أحوج ما يكونون إليها ، وهو يوم تكون الرحمة سببًا للفوز الأبدي ، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءهم على سبيل الإيجاز ، كأنهم قالوا : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ ، وخاصة يوم تجمع الناس »[٢] .

ثالثًا : قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) ﴾ [آل عمران : ١٦] ، طلبوا المغفرة والوقاية من النار مقدمين قولهم : ﴿ إِنَّنَا آمَنَّا ﴾ للإشارة إلى أن من كان مؤمنًا فهو معرض لاستحقاق ذلك ، فمن كان مؤمنًا فلا يقنط من طلب المغفرة والوقاية من النار ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

رابعًا : قوله : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

﴿ ١ ﴾ قوله : ﴿ هُنَالِكَ ﴾ يشير إلى أنه أقبل على الدعاء من غير تأخير[٣] ، « وقد كان في مكان شهد فيضًا إلهيًا ، ولم يزل أهل الخير

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٣/ ٣٠) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) الألوسي : روح المعاني (٣/ ١٤٤) .

يتوخون الأمكنة بما حدث فيها من خير ، والأزمنة الصالحة كذلك » [(١)] .

﴿ ٢ ﴾ جاء الطلب بلفظة الهبة ، لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابله شيء وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه ولا للوالدة لكونها عاقرًا لا تلد ، فكأنه قال : أعطني من غير وسط معتاد [(٢)] .

﴿ ٣ ﴾ سأل الذرية الطيبة لأنها يرجى منها خير الدنيا والآخرة بحصول الآثار الصالحة النافعة [(٣)] .

﴿ ٤ ﴾ أكمل الدعاء بقوله : ﴿ **إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة [(٤)] .

خامسًا : قوله : ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** (٥٣) ﴾ [آل عمران : ٥٣] فبعد أن أشهد الحواريون عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون سألوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين بأنهم مسلمون ، أو أن المؤمنين يسألون الله أن يكتبهم مع الشاهدين الذين أشهدوا عيسى عليه السلام بأنهم مسلمون للإشارة بفضلهم ، وفي هذا الدعاء إشارة لأن يطلب المؤمن من الله أن يسلكه في سلك المتقين الصالحين ، عسى أن يعممه الخير بفضلهم وإن كان عمله لا يؤهله لذلك ، ومثله قوله : ﴿ **وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

سادسًا : قوله : ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٣/ ٩٠) .
(٢) الألوسي : روح المعاني (٣/ ١٤٤) .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٣/ ٩٠) .
(٤) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٢/ ٣١) .

وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

[آل عمران : ١٤٧] .

فالمراد بالذنوب الصغائر وبالإسراف في الأمر الكبائر أو كل تجاوز في فعل ما يجب [١] ، وإنما أضافوا ذلك إلى أنفسهم – مع أنهم برآء من التفريط في جنب الله تعالى – هضمًا لأنفسهم واستقصاراً لهممهم وإسناداً لما أصابهم إلى سوء أعمالهم واستغفاراً عنها [٢] .

وهذا يشير إلى أن على الداعي أن يشعر بعظم ذنبه وتقصيره ليبقى بين الخوف والرجاء ، وهو ما يعبر عنه البعض بقولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، أي أن ما يراه الأبرار حسنات هو بالنسبة لهم سيئات من حيث نظرهم إلى تقصيرهم ؛ فيعبدون الله ويشعرون أنهم مقصرون وأن عبادتهم وعملهم لا تنجيهم ، فإذا نظر الأبرار لعملهم نظر المقربون لتقصيرهم ، وهذا ما يشير إليه فعل النبي ﷺ حيث كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ﷺ : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » [٣] .

وطلبوا تثبيت الأقدام والنصر تقريبًا ، إلى حيز القبول ، فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن طهارة أقرب إلى الاستجابة [٤] ، وقد طلبوا

---

(١) الالوسي : روح المعاني (٤ / ٨٤) .
(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي (١ / ٣٠٢) ، وأبو السعود : تفسير أبي السعود (٢ / ٩٦) .
(٣) رواه البخاري في التهجد (١١٣٠) ومسلم في صفات المنافقين رقم (٧٩ – ٨١) والترمذي في الصلاة (٤١٢) والنسائي في قيام الليل (١٦٤٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٤١٩) .
(٤) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٢ / ٩٩٦) .

الغفران أولاً ليستحقوا طلب النصر على الكافرين [١] .

سابعًا : قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾ .

[آل عمران : ١٩٣ ، ١٩٤] .

﴿ ١ ﴾ تكرير النداء بقوله ربنا في قوله : ﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ﴾ للتضرع وإظهارًا لكمال الخضوع وعرضًا للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به [٢] .

﴿ ٢ ﴾ الفاء في قوله : ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ﴾ لترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى ، والإقرار بربوبيته ، فإن ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها [٣] .

﴿ ٣ ﴾ طلبوا غفران الذنوب – وهي الكبائر ، وتكفير السيئات هي الصغائر .

﴿ ٤ ﴾ طلبوا الوفاة مع الأبرار ، أي مخصوصين بصحبتهم معدودين من زمرتهم [٤] ، وهو يُشير إلى أنهم محبون للقاء الله طالبين الوفاة مع الأبرار عسى أن تنالهم رحمة الله التي تنزل بالأبرار ، وإن لم يكن لهم عمل يؤهلهم لذلك ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : كيف ترى في

---

(١) الألوسي : روح المعاني (٤/٨٥) .
(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٢/١٣٢) .
(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٤) الزمخشري ، محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (١/٢٣٩) ، دار المعرفة ، بيروت «بلا تاريخ» .

رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **المرء مع من أحب** »[١] .

﴿ ٥ ﴾ طلبوا ما تم الوعد به على لسان الرسل وعدم الخزي في الآخرة علمًا أن الثاني متضمن في الأول ، وهو من باب الإلحاح في الدعاء والله يحب الملحين في الدعاء .

قال الألوسي - رحمه الله - :

« إن القوم لمزيد حرصهم وفرط رغبتهم في النجاة في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال وتشيب فيه الأطفال لم يكتفوا بأحد الدعاءين وإن استلزم الآخر ، بل جمعوا بينهما ليكون ذلك من الإلحاح – والله تعالى يحب الملحين في الدعاء – فهو أقرب إلى الإجابة »[٢] .

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٦٨) ، ومسلم في البر رقم (١٦٥) .
(٢) الألوسي : روح المعاني (٤ / ١٦٦) .

سورة المائدة

قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ﴾ .

[المائدة : ١١٤] .

ناداه الله سبحانه وتعالى مرتين : مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ، ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية ، وذلك إظهاراً لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء ، واستعطافاً لإجابة الدعاء (١) .

وقدم الظرف على المفعول في قوله: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾ للاهتمام بالمقدّم والتشويق إلى المؤخّر (٢) .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٣/٩٨) ، وابن عاشور : التحرير والتنوير (٥/٢٢٦)

سورة الأعراف

أولاً : قوله تعالى : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، فقد اعترف آدم وحواء بالخطأ وظلم النفس قبل طلب المغفرة ، وهو من دواعي طلب المغفرة والإجابة إليه .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) ﴾ [الأعراف : ٤٧] « في وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال ، إشعار بأن المحذور عندهم ليس نفي العذاب فقط ، بل مع ما يوجبه ويؤدي إليه من الظلم » [١] .

ثالثًا : قوله : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦] ، أي : اصببه علينا حتى يفيض ويغمرنا ، « طلبوا أبلغ أنواع الصبر استعداداً منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدو الله ، وتوطيناً لأنفسهم على التصلب في الحق وثبوت القدم على الإيمان » [٢] .

وقد ورد مثل هذا الدعاء من قوم طالوت بعد عبورهم للنهر وشُربهم منه ، فكان دعاؤهم ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) ﴾ [البقرة : ٢٥٠] ،ختموا الدعاء بطلب النصر لأن الموطن هناك موطن قتال ، أما هؤلاء السحرة الذين آمنوا فكان دعاؤهم أن يتوفاهم مسلمين ، لما أن الظاهر أنه غلب على ظنهم الوفاة وقد توعدهم فرعون

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٣/ ٢٣٠) .
(٢) الشوكاني : فتح القدير (٢/ ٢٤٥) .

بالصلب والقتل ، وقد يُفهم من ذلك أنه ليس هدف المؤمن في القتال هو نيْله الشهادة ، بل هدفه الثبات والنصر وإعلاء دين الله تعالى .

رابعًا : قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾ [الأعراف : ١٥١] ، طلب المغفرة له أولاً ولأخيه ثانيًا ، ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة ، فكأنه تذمم مما فعله بأخيه وأظهر أنه لا وجه له [١] .

قال ابن عاشور - رحمه الله - :

« طلب المغفرة لنفسه تأدبًا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب ، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك ، وذكر وصف الأخوة هناك زيادة في الاستعطاف ، عسى أن يكرم رسوله بالمغفرة لأخيه ، والإدخال في الرحمة استعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما ، بحيث يكونان كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي » [٢] .

خامسًا : قوله : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤ ، ١٥٥] ، لما اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً للميقات وأخذتهم الرجفة ، طلب موسى من الله المغفرة والرحمة ، وقدَّم ذكرَ ولايته تعالى لهم على طلب المغفرة ليكون أدعى للإجابة وتمهيداً لطلب المغفرة والرحمة .

وقدم طلب المغفرة على الرحمة لأن المغفرة سبب لرحمات كثيرة ، فإن

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (٢ / ٢٦١) .

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٨ / ٣٠٠) .

المغفرة تنهية لغضب الله المترتب على الذنب ، فإذا انتهى الغضب تسنى أن يخلفه الرضا ، والرضا يقتضي الإحسان (١) ، ولأن التخلية مقدمة على التحلية (٢) .

وقوله : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ طلب ذلك بفعل الكتابة لإفادة معنى الثبات والتجدد .

قال ابن عاشور - رحمه الله - :

[﴿ اَكْتُبْ ﴾ لمعنى العطاء المحقَّق حصوله ، المجدد مرة بعد مرة ، لأن الذي يريد تحقيق عقد أو عدة أو عطاء وتعلقه بالتجدد في المستقبل يكتب به في صحيفة ، ولو كان العطاء أو التعاقد لمرةٍ واحدة لم يحتج للكتابة .

فالمعنى : آتنا الحسنة تلو الحسنة في أزمان حياتنا ويوم القيامة] (٣) .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٨/٣٠٩) .

(٢) الآلوسي : روح المعاني (٩/٧٥) .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٨/٣١٠) .

سورة يونس

قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) ﴾ [يونس : ٨٥ ، ٨٦]، أي : لا تسلطهم علينا فيعذبونا حتى يفتنونا عن ديننا (١) .

وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن حق الداعي أن يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى فإنه أرجى للإجابة (٢) .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« ودعاؤهم ... لا ينافي الاتكال على الله والتقوى به ، بل هو أدلُّ على التوجه بالاتكال والاعتماد على الله ، والمؤمن لا يتمنى البلاء ، ولكن يثبت عند اللقاء » (٣) .

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (٢ / ٤٨١) .
(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٤ / ١٧٠) ، والألوسي : روح المعاني (١١ / ١٧٠)
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (٣ / ١٨١٦) .

سورة يوسف

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ [يوسف : ١٠١] .

دعاء الله سبحانه أن يُتم عليه نعمه التي أنعمها عليه ، بأن يتوفاه مسلمًا ويلحقه بالصالحين من آبائه .

سورة إبراهيم

أولاً : قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

﴿ ١ ﴾ سألة هذا الأمن بينما ورد في سورة البقرة ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، فسأله هناك أن يجعل تلك الأرض بلداً وأن يجعلها آمنة ، إذ يحتمل أن يكون قد كرَّر السؤال ، وكان سؤال الأمن بعد إقامة البلد ، أو أنه ينبئ عنه ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم ٣٧] .

﴿ ٢ ﴾ قوله : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ أي : اجعلنا منها في جانب بعيد [١] .

ثانياً : قوله : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

﴿ ١ ﴾ قوله : ﴿ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ ﴾ فمن للتبعيض ولو قال : أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم [٢] .

﴿ ٢ ﴾ قوله : ﴿ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ أي : تسرع إليهم شوقًا ووداداً ، وعدي الفعل تهوي بإلى لتضمنه معنى الشوق [٣] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٥ / ٥١) .
(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٥ / ٥٢) .
(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

﴿٣﴾ قوله :﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ بين الهدف من هذا السكن وهذا الدعاء بالرزق من الثمرات ، وفي هذا إشارة لأن تستخدم نعم الدنيا في الشكر ، فإنها في الأصل معدة لذلك ، وكذا حينما يدعو المرء لأمر دنيوي أن لا يكون لذاته ، بل لما يؤدي إليه من قيام العبادة .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وهكذا يبرز السياق هدف السكنى بجوار البيت الحرام ، إنه إقامة الصلاة على أصولها كاملة لله ، ويبرز هدف الدعاء برفرفة القلوب وهويها إلى أهل البيت ورزقهم من ثمرات الأرض ، إنه شكر الله المنعم الوهاب » [١] .

﴿٤﴾ وفي دعائه عليه السلام مراعاة لحسن الأدب في الدعاء وعرض الحاجة واستنزال الرحمة والرأفة « فإنه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بيّن كمال افتقارهم إلى المسؤول ، وبذكر كون إسكانهم عند البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النِّعيم ، وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال إعواز مرافق المعاش لمحض إقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادئ إجابة السؤال ، ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول » [٢] .

ثالثًا : قوله : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾ .

[إبراهيم : ٤٠ ، ٤١] .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٤ / ٢١١٠) .

(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٥ / ٥٣) .

﴿١﴾ توحيد الضمير في قوله : ﴿ رَبِّ ﴾ مع شموله لذريته للإشعار بأنه المقتدى به في ذلك ، وذريتُه أتباع له ، لا كما في قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فإن إسكانه لمن أسكنه إنما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته (١) .

﴿٢﴾ خص إقامة الصلاة بالدعاء لأهميتها ولكونها شعار الإيمان .

﴿٣﴾ قوله : ﴿ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فمن للتبعيض وإنما خص بعض ذريته بهذا الدعاء لعلمه – بإعلام الله له – أن من ذريته من لا يقيم الصلاة ويكون منهم كفار أو فَسَقَة لا يصلون (٢) .

﴿٤﴾ خص نفسه بالمغفرة وقدمها في الدعاء هضماً لها وشعوراً بالتقصير .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٥/٥٤) .
(٢) الألوسي : روح المعاني (١٣/٢٤٣) .

سورة الإسراء

أولاً : قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[الإسراء : ٢٤] .

أي : ادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ، وهي رحمة الآخرة ، ولا تكتف برحمتك الفانية المشار إليها بالمعاملة الحسنة .

وهذا يشير إلى أن من تمام البرِّ بعد المعاملة الحسنة الدعاء للوالدين .

ثانياً : قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٠] ، أي : أصلح لي وردي في كل الأمور وصدري عنها ، واجعل لي حجة ظاهرة قاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني (١) .

وإضافة المدخل والمخرج للصدق للمبالغة (٢) .

(١) الشوكاني : فتح القدير (٣/٢٥٨) .
(٢) الألوسي : روح المعاني (١٥/١٤٣) .

سورة الكهف

قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١٠] .

﴿ ١ ﴾ سألوه أن يمن عليهم برحمة عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به ، وهو ما يشير إليه قوله : ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ فإن من تفيد معنى الابتداء ، ولَدُن تفيد معنى العندية ، فذلك أبلغ ما لو قالوا : آتنا رحمة ، لأن الخلق كلهم بمحلٍّ الرحمة [١] .

﴿ ٢ ﴾ وتنكير الرحمة لتفخيم شأنها ، أي رحمة عامة غير مخصصةٍ بمكان أو زمان .

﴿ ٣ ﴾ وتقديم المجرورين ﴿ لَنَا ﴾ ومن ﴿ مِنْ أَمْرِنَا ﴾ على المفعول الصريح ﴿ رَشَدًا ﴾ لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله ، وذلك أن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه فإنه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله .

وتقديم ﴿ لَنَا ﴾ على ﴿ أَمْرِنَا ﴾ للإيذان بأن في أول الأمر يكون المسؤول مرغوبًا فيه لديهم [٢] .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٥ / ٢٥) .

(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٥ / ٢٠٦) .

سورة طه

أولاً : قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[٢٥ - ٣٥] .

﴿ ١ ﴾ في زيادة كلمة ﴿ لِي ﴾ مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير .

﴿ ٢ ﴾ وفي تقديم ﴿ لِي ﴾ على اشرح ويسر إظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين ، وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به [(١)] .

﴿ ٣ ﴾ وتنيكر عقدة للتعظيم ، أي عقدة شديدة [(٢)] .

﴿ ٤ ﴾ قوله : ﴿ مِّن لِّسَانِي ﴾ ولم يقل : عقدة لساني فأتى بها بصيغة الصفة دون الإضافة ليتأتى التنكير المشعر بأنها عقدة شديدة .

﴿ ٥ ﴾ وقد طلب موسى عليه السلام أن يشرح صدره ، وذلك أن انشراح الصدر يُحوِّل مشقة التكليف إلى متعة ، ويحيل عناءه إلى لذة ويجعله دافعًا للحياة لا عِبْءًا ثقيلاً ، كما طلب تيسير الأمر ، وذلك أن تيسير الله للعباد هو ضمان النجاح لإنسان محدود القوى

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٦/ ١٢) .

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٦/ ١١٤) .

قاصر العلم في هذا الطريق الشائك الطويل [١] .

﴿ ٦ ﴾ وطلب حل عقدة لسانه إذ يحسن التبليغُ من البليغ [٢] ، لما له من أثر في خطاب الناس والتأثير على عقولهم وعواطفهم .

﴿ ٧ ﴾ وقد خص أخاه هارون لفرط ثقته به ، ولأنه كان فصيح اللسان مقوالاً ، وهو أقوى في النصح له [٣] .

﴿ ٨ ﴾ بين العلة من طلب ذلك ، وهو : التسبيح والذكر ، وليس أمرًا دنيويًا شخصيًا .

وهذا الدعاء من موسى عليه السلام يشير لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله ، من استخدام كل الوسائل الممكنة لتبليغ الدعوة ، واختيار الناس الفصحاء الأقوياء ، وأن يكون الهدف إعلاء كلمة الله .

ثانياً : قوله : ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه : ١١٤] .

أُمر أن يطلب زيادة العلم ، فإنه مجمع كل خير ، وقد كان النبي ﷺ يسأل ربه ذلك ، فكان يقول : « **اللهم انفعني بما علَّمتني ، وعلِّمني ما ينفعني ، وزدني علمًا ، والحمد لله على كل حال** » [٤] .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٤ / ٢٣٣٣) .
(٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي (٢ /٣٨٨) .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٦ /١١٥) .
(٤) رواه ابن ماجه في المقدمة باب (٢٣) ، رقم (٢٥١) .

سورة الأنبياء

أولاً : قـولـه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

﴿ ١ ﴾ اكتفى أيوب عليه السلام بالتعريض بسؤال ربه أن يكشف عنه ضرَّه ، وهذا أمر ينبئ عن غاية الأدب مع الله سبحانه وتعالى ، فإن أيوب يعلم أن الله ما ابتلاه إلا حبًا ورحمة به .

﴿ ٢ ﴾ عبر أيوب عليه السلام عن الضر الذي أصابه بالمسّ ، والمس معناه الإصابة الخفيفة ، « والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله ، إذ جعل ما حل به من الضر كالمسّ الخفيف » [١] .

﴿ ٣ ﴾ وفي قوله : ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ حيث « وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها ، واكتفى به عن عرض المطلب لطفًا في السؤال » [٢] .

فكأنه يقول : فأنت أرحم الراحمين إن أبقيت الضر وإن كشفته عني .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وأيوب عليه السلام هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ ووصف ربه بصفته ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، ثم لا يدعو بتغيير حاله صبراً على بلائه ، ولا يقترح شيئًا على ربه تأدبًا معه وتوقيراً ،

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٧ / ٩٢) .
(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٦ / ٨١) .

فهو نموذج للعبد الصابر لا يضيق صبره بالبلاء ، ولا يتململ من الذي تضرب به الأمثال في جميع الأعصار ، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه ، فيدع الأمر كله إليه ، اطمئنانًا إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال » (١) .

﴿ ٤ ﴾ ويأتي استجابة الدعاء بصورة سريعة تتناسب مع رحمة أرحم الراحمين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ** ﴾ بالفاء التي تفيد التعقيب والتي تنبئ عن سرعة الاستجابة ، وبالإجابة الواسعة العظيمة التي يشير إليها الألف والسين والتاء التي تفيد المبالغة .

ثانيًا : قوله : ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ .

[الأنبياء : ٨٧] .

دعاء ذي النون عليه السلام : ﴿ **لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ أي أُنزهك تنزيهًا لائقًا بك من أن يعجزك شيء ، أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي ، فإني كنت من الظالمين لنفسي ، بتعريضها للهلاك (٢) .

وفي هذا الدعاء غاية الأدب مع الله سبحانه حيث ذكر ظلمه لنفسه وسلك نفسه مسلك الظالمين لأنفسهم ، ولم يطلب من الله صراحة أن يغفر له ذنبه ، فلعله شعر بعظم ذنبه تاركًا الأمر لله تبارك وتعالى ، وكأنه يقول : إن تعذبني فبعدلك ، وأن ترحمني فبرحمتك .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٤ / ٢٣٩٢) .

(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٦ / ٨٣) .

لذلك كانت هذه الدعوة دعوة المكروب الشاعر بذنبه الطالب عفو ربه ، ما دعا بها مسلم في شيء قط إلا استجاب له »[١] ، وعن سعد بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، دعوة يونس بن متى** » ، قلت : يا رسول الله ، هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ قال : « **هيَ ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا به ، ألم تسمع قول الله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه** »[٢] .

ثالثًا : قوله : ﴿ **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)** ﴾[الأنبياء : ٨٩] .

أي : لا تذرني وحيداً بلا ولد يرثني ، وأنت خير حي يبقى بعد ميت ، وقد أراد بذلك ردَّ الأمر إليه سبحانه ، كأنه قال : إن لم ترزقني ولداً فأنت خير وارث فحسبي أنت .

والمقصود من ذلك إظهار الرضا والاعتماد على الله في كل الأحوال ، سواء أجاب دعاءه أم لا[٣] .

والملاحظ في هذه الأدعية الثلاثة من هذه السورة دعاء أيوب ويونس وزكريا ، حيث اجتمع فيها الدعاء بصورة غير مباشرة مع إظهار الرضا سواء تمت الاستجابة أم لا ، وهذا مقام سام في الدعاء ، وهذا الدعاء مع التسليم لله تعالى في كل أمر وفيما يختاره تبارك وتعالى لعباده .

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٧٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٦) والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥) والحاكم (٢/ ٣٨٢) ، والبيهقي في الشعب (٦١١) و صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) رواه ابن جرير (١٠/ ٨٢) .

(٣) الألوسي : روح المعاني (١٧/ ٨٧) .

سورة المؤمنون

أولاً : قوله : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾ [المؤمنون : ٢٨ ، ٢٩] .

في الآية تعليم من الله لعباده أن يقولوا إذا ركبوا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وإذا نزلوا أن يقولوا : ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [١] .

وقد دعا نوح عليه السلام ربه بقوله : ﴿ أَنزِلْنِي ﴾ ولم يقل أنزلنا لإظهار فضله .

كما أمر أن يتبع الدعاء بما يطابقه ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ وذلك توسلاً به إلى الإجابة ، فإن الثناء على المحسن يكون مستدعيًا لإحسانه ، وقد قالوا : الثناء على الكريم يغني عن سؤاله [٢] .

ثانياً : قوله : ﴿ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) ﴾ .

[المؤمنون : ٩٤] .

ذكر في هذا الدعاء لفظ ﴿ رَبِّ ﴾ مُكررًا تمهيدًا للإجابة لأن وصف الربوبية يقتضي الرأفة بالمربوب [٣] .

---

(١) الألوسي : روح المعاني (١٧/ ٨٧) .
(٢) الشوكاني : فتح القدير (٣/ ٤٨٠) .
(٣) الألوسي : روح المعاني (١٨/ ٢٨) .

وقد أمر ﷺ أن يدعو بذلك مع أنه – عليه الصلاة والسلام في حرز عظيم من أن يجعل قرينًا لهم –وذلك إيذانًا بكمال فظاعة العذاب الموعود، وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به (١) .

ثالثًا : قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) ﴾ .

[المؤمنون : ١١٨] .

أمر النبي ﷺ بالدعاء بالرحمة وقبلها المغفرة لأن المغفرة سبيل لنيل الرحمة ، وفي حذف متعلّق ﴿ اغْفِرْ وَارْحَمْ ﴾ تفويض الأمر إلى الله في تعيين المغفور لهم والمرحومين (١) ، وكأنه يقول : اغفر وارحم من يستحق ذلك سواء تم تعيينه أم لا .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٨/ ١١١)

سورة الفرقان

أولاً : قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ [الفرقان : ٦٥] .

والمراد بصرف العذاب عنهم إنجاؤهم منه بتيسير العمل الصالح واجتناب السيئات ، وفيه إشارة لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الخوف من العذاب مع رجاء رحمة الله تعالى ، وأن لا يغتر بعمله ، فهم « مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم » [١] .

ومعنى : ﴿ غَرَامًا ﴾ أي شراً دائماً وهلاكًا لازمًا [٢] .

ثانياً : قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

تنكير الأعين للتعظيم وتقليلها حيث قال أعين ولم يقل عيون لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم .

وتوحيد لفظ إمامًا فلم يقل أئمة، إما للدلالة على الجنس وعدم اللَّبْس ، أو لأنه مصدر في أصله ، أو لأن المراد به : واجعل كل واحدٍ منا إمامًا ، لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم [٣] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٦ / ٢٢٩) .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) البيضاوي : التحرير والتنوير (٢ / ٥٣٢) .

وهذا دعاء جامع للخير وفيه خير الدنيا والآخرة ، فإن الذرية الصالحة من أعظم نعم الدنيا ، ومعلوم أن الإنسان ينقطع عمله إلا من ثلاث ... منها : الولد الصالح الذي يدعو له ، ومن إكرام الله للمؤمن في الآخرة أنه يتم إلحاق ذريتهم به دون أن يُنقص من عمله شيء ... وهم كما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم ، سألوا لأنفسهم أن يكونوا قدوة للمتقين ، وهذا يقتضي أنهم يسألون لأنفسهم بلوغ الدرجات العظيمة من التقوى [1] ، ثم إن المرء يُسأل عنهم فهم أمانة في عنقه .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق ، شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله ، وفي أولهم الذرية والأزواج ، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يُسأل عنها الرجال ، والرغبة كذلك في أن يحس المؤمن أنه قدوة للخير يأتم به الراغبون في الله » [2] .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٩ / ١٠١) .
(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (٤ / ٢٥٨١) .

سورة الشعراء

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء : ٨٣ – ٨٩] .

المراد بالحكم :

العلم والفهم ، وقيل : النبوة والرسالة [١] ، ولعل المراد به النبوة والرسالة لما يشير إليه ما بعده ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ إذ المراد بهم الأنبياء والمرسلون ، فيكون قد سأل بلوغ درجات الرسل أولى العزم [٢] ، والإلحاق بالصالحين يجعل المرء ينال مقامهم وإن لم يعمل بعملهم .

ثم سأل أن يكون له ثناء حسن في الأمم الآتية بعده « وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال وطلب نشر الثناء عليه ، وهذا ما تتغذى به الروح من بعد موته ، لأن الثناء عليه يستدعي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوه من زكاء نفسه » [٣] .

ثم سأل أن يكون من ورثة الجنة « فاستعير اسم الورثة إلى أهل الاستحقاق ، لأن الوارث ينتقل إليه ملك الشيء الموروث بمجرد موت المالك السابق ، ولما لم يكن للجنة ما يكونُ تعيَّن أن يكون الوارثون

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (٤/١٠٣).
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٩/١٥٦).
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٩/١٥٦).

مستحقين ميراثها من وقت تبوّؤ أهل الجنة الجنة .

وسأل المغفرة لأبيه قبل سؤاله أن لا يخزيه الله يوم القيامة ، لأنه أراد أن لا يلحقه يومئذ شيء ينكسر منه خاطره وقد اجتهد في العمل المبلغ لذلك واستعان الله على ذلك ، وما بقيت له حزازة إلا حزازة كفر أبيه ، فسأل المغفرة له ، لأنه إذا جئ بأبيه من الضالين لحقه انكسار ولو كان قد استجيب له بقية دعواته »[1] .

وهذه الأدعية ليس لطلب عرض من أعراض الدنيا ، إنما هو دعاء لأمور تتعلق بالدين والهداية لما فيها من خير الدنيا والآخرة ، فمن أراد الدنيا فعليه بالآخرة .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٩ / ١٥٦) .

سورة النمل

قوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

[النمل : ١٩] .

فقوله : ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ أي : اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا أنفك عن شكرك أصلاً [١] .

قال الراغب الأصفهاني - رحمه الله - :

« قيل معناه : ألهمني ، وتحقيقه : أولعني ذلك واجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران » [٢] .

وقال سيد قطب - رحمه الله - :

« ﴿ أَوْزِعْنِي ﴾ اجمعني كلي ، اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجُّهاتي ، اجعلني كلي، اجمع طاقاتي كلها ، أولها على آخرها ، وآخرها على أولها، لتكون كلُّها في شكر نعمتك عليّ وعلى والدي » [٣] .

وأدرج ذكر والديه تكثيراً للنعمة ، فإن الإنعام عليهما إنعام عليه من وجه مستوجب للشكر ، أو تعميمًا لها ، فإن النعمة عليه عليه السلام يرجع

---

(١) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٦ / ٢٧٩) .
(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات (ص ٥٢٢) .
(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (٥ / ٢٦٣٧) .

نفعها إليهما [١] ، ولعله من باب البرِّ بهما والإحسان إليهما لما ينال المرء من عمل أولاده وذريته .

وطلب توفيقه لأن يعمل صالحًا إتمامًا للشكر واستدامة للنعمة ، وفيه إشارة إلى أن التوفيق لعمل الصالحات نعمة عظيمة تستوجب أعظم الشكر ، وتنكير العمل الصالح للتفخيم والتكثير .

ثم طلب أن يدخله الله في عباد الله الصالحين ، عسى أن تناله الرحمة التي تعمُّهم ، وأن يكون واحداً منهم ، ولما كان ذلك يحتاج إلى جهد كبير لا يستحقه الإنسان بعمله طلب أن يكون ذلك برحمة منه سبحانه ، كأنه يقول : إذ كان عملي لا يؤهلني لأن أكون من عباد الله الصالحين فإنني أسألك ذلك برحمة منك وفضل .

---

(١) الألوسي : روح المعاني (١٩/ ١٨١).

سورة الزمر

قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ [الزمر : ٤٦] .

أمر النبي محمد ﷺ بالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى لما عاناه من مكابرتهم وعنادهم وذلك تنفيسًا عنه من كدر الأسى ، وإعذاراً لهم بالإنذار ، وأن الأجدر تركهم وتفويض الحكم لله في خلافهم ، وفيه إشارة إلى أن على المؤمن أن يُفوض أمره لله تعالى ويلتجئ إليه ويدعوه بأسمائه العظمى ، فإنه وحده القادر على الفصل الحقيقي بين الأمور المختلف فيها ، ولهذا قال :﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ ، فقدّم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة الاختصاص والحصر ، أي أنت لا غيرك يحكم بين العباد [١] .

وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بهذا الدعاء ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : « **اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** » [٢] .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير(٢٤/١٠٥) ، والألوسي : روح المعاني(٢٤/١١) .

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين(٢٠٠) وأبو داود في الصلاة(٧٦٧) والترمذي في الدعوات (٣٤٢٠) والنسائي(٣/٢١٣) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة(١٣٥٧) والبيهقي في الأسماء والصفات(١/١٤٦) .

سورة غافر

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾
[غافر : ٧ – ٩] .

في هذه الآيات دعاء من الملائكة لله تعالى أن يغفر للمؤمنين ويقيهم عذاب الجحيم ، وتم افتتاح الدعاء بالنداء ﴿ رَبَّنَا ﴾ لكونه أدخل في التضرع وأرجى للإجابة ، ومهدوا للدعاء ببيان سعة الرحمة والعلم لأنه هو الذي يُطْمِع باستجابة الدعاء (١) .

وتقديم الرحمة على العلم في قوله : ﴿ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً ﴾ لأنها المقصودة بالذات ههنا (٢) .

والوقاية من عذاب الجحيم فرع لقولهم فاغفر ، وهو تأكيد له إظهاراً للحرص على المطلوب (٣) .

وقوله : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ فكرر النداء لزيادة التضرع والاستعطاف ، والوقاية من عذاب الجحيم تتضمن أو تؤدي لإدخال الجنة ، ولكن تم سؤال

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٤/ ١٥٣) .
(٢) أبو السعود : تفسير أبي السعود (٧/ ٢٦٧) .
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٤/ ١٥٤) .

إدخال الجنة لزيادة التضرع والإلحاح في الدعاء وأن كل رحمة مستقلة ، وفي الدعاء لهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ليتم سرورُهم ويتضاعف ابتهاجهم [١] .

وقوله : ﴿ **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ** ﴾ أي العقوبات أو المعاصي ، وليس ذلك تكراراً مع قولهم : ﴿ **وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ بل هو تعميم بعد تخصيص ، وهو دعاء بالحفظ عن سبب العذاب بعد الدعاء بالحفظ عن المسبَّب وهو العذاب [٢] .

---

(١) الألوسي : روح المعاني (٢٤/ ٤٧) .

(٢) الألوسي : روح المعاني (٢٤/ ٤٨) .

سورة الأحقاف

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ .

[الأحقاف : ١٥].

وقد سبق مثل هذا الدعاء في سورة النمل الوارد على لسان سليمان عليه السلام ، إلا أنه ختم الدعاء هناك بقوله : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩] ، وخُتم هنا بقوله: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ ، أي اجعل الصلاح ساريًا وراسخًا فيهم ، حيث أُنزل اللازم ثم عُدِّي بفي ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظروف له لتمكنه فيهم [١] .

وقوله : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي ﴾ أي لأجلي ومنفعتي ، فكأنه يقول : « كما ابتدأتني بنعمتك وابتدأت والديّ بنعمتك ومتعتهما بتوفيقي إلى برِّهما ، كَمِّلْ إنعامك بإصلاح ذريتي فإن إصلاحهم لي » [٢] .

---

(١) الألوسي : روح المعاني (٢٦/ ٢٩) .

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٩) .

سورة الحشر

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[الحشر : ١٠] .

يثني الله سبحانه على من سار على نهج الذين سبقوا بالإيمان وأولهم الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك الدعاء لهم بالمغفرة ، وأن لا يُوجد في قلوبهم غلاً لهم .

قال الألوسي - رحمه الله - :

« وفي الآية حث على الدعاء للصحابة وتصفية القلوب من بغض أحد منهم » (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فَسَبُّوهم ، ثم قرأت هذه الآية » (٢) .

وقال ابن عاشور - رحمه الله - :

« بيَّن الله للذين جاؤوا من بعدهم ما يُكسبهم فضيلة ليست للمهاجرين والأنصار ، وهي فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة وانطواء ضمائرهم على محبتهم وانتفاء البغض لهم » (٣) .

---

(١) الألوسي : روح المعاني (٢٨ / ٥٤) .

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، كما في الدر المنثور للسيوطي (٦ / ٢٩٣) ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٨ / ٨٧) .

سورة الممتحنة

قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾

[الممتحنة : ٤ ، ٥] .

تقديم المجرور في قوله : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ لإفادة القصر ، وإعادة النداء بقولهم ﴿ رَّبَّنَا ﴾ إظهار للتضرع مع كل دعوة من الدعوات الثلاث [١] .

وقولهم : ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : لا تُسلطهم علينا أو لا تعذبنا بأيديهم .

أما قولهم: ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ﴾ حيث أعقبوا دعواتهم التي تعود إلى إصلاح دينهم في الحياة الدنيا بطلب ما يصلح أمورهم في الحياة الآخرة وما يوجبه في الدنيا ، فإن رضاه يفضي إلى عنايته بهم بتيسير أمورهم في الحياتين .

وللإشعار بالمغايرة بين الدعوتين عطفت هذه بالواو ولم تعطف التي قبلها [٢] .

---

(١)ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٨ / ١٣١) ، والالوسي : روح المعاني (٨ / ٧٣٢) .

(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٨ / ١٣١) .

سورة التحريم

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم : ٨] .

حينما يمر الناس على الصراط فيُعطى كل إنسان نوره حسب عمله ويُطفأ نور المنافقين ، يدعو المؤمنون أن يتم الله لهم نورهم .

يقول سيد قطب - رحمه الله - :

« وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب هو علامة الاستجابة ، فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب ، فالدعاء هنا نعمة يمنُ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور » [(١)] .

وطلبهم للمغفرة مع إتمام النور لأن المغفرة سبب للنور ، وكلاهما تفضُّلٌ من الله على عباده .

ثانيًا : قوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)** ﴾ [التحريم : ١١] .

يضرب القرآن الكريم مثلاً للمؤمنين بهذه المرأة الصالحة التي تحملت العذاب من زوجها الذي عذبها أشد العذاب ، حيث كانت تُعذب

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن(٦/ ٣٦١٨) .

بالشمس ، فإذا انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة [١] .

وقد دعت امرأة فرعون ذلك الدعاء لإيمانها ، بأن ما عند الله خير مما عند فرعون ، ولهذا قالت : ﴿ عِندَكَ ﴾ أي : قريبًا من رحمتك ، أو المراد بها أعلى درجات المقربين [٢] ، وقُدم الظرف ﴿ عِندَكَ ﴾ لأنها الأصل في الطلب ، فالمقصود قربه قبل البيت .

وطلب النجاة من فرعون وعمله للإشارة إلى خبثه وخبث أعماله ، فإن الكافر قد يكون صالحًا في بعض أعماله فيكون فاسداً بمعتقده صالحًا ببعض أعماله ، والفاسق يكون صالحًا بنفسه فاسداً بعمله ، أما أن يكون الإنسانُ فاسداً بنفسه وبعمله فهو في غاية السوء ، ولذا طلبت النجاة منه ومن عمله ، ولذلك قالت من فرعون وعمله ، أما قومه وقومها فطلبت النجاة منهم .

وقد وصفتهم بالقوم الظالمين لشعورها بظلمهم وتعذيبهم لها ، ولذلك طلبت بيتًا في الجنة والنجاة من فرعون وعمله والقوم الظالمين .

وقد طلبت النجاة من القوم الظالمين بفعل مستقل ﴿ وَنَجِّنِي ﴾ للإشارة إلى ظلم القوم ، فكأنها تقول : فإني وإن نجوت من فرعون بسبب كونه

---

(١) ورد ذلك عن سلمان ، كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٥٠٥) الطبعة الأولى ١٩٨٩م ، دار الفكر ، بيروت ، والحاكم (٢ / ٤٩٦) ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في الشعب (١٥٢٠) ، وأخرج نحوه أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة كما في الدر المنثور (٦ / ٣٧٧) .

(٢) الآلوسي : روح المعاني (٢٨ / ١٦٣) .

زوجًا لي فلن أنجو من القوم الظالمين .

« وفي الآية دليل على أن الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه عز وجل ومسألة الخلاص منه تعالى عن المحن والنوازل من سِير الصالحين وسُنن الأنبياء »[1] ، وكذلك فإن من مواطن إجابة الدعاء هو الدعاء عن المحن ، كما أن الظلم سبب لاستجابة الدعاء .

---

(١) المصدر السابق (٢٨ / ١٦٤) .

سورة نوح

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨) ﴾ .

[نوح : ٢٦ – ٢٨] .

لما علم نوح عليه السلام بوحي من الله أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، توجه إلى ربه بالدعاء أن يهلكهم ولا يترك منهم على الأرض دياراً ، أي من يسكن الديار [١] ، وعلل ذلك بأنهم إن تُركوا فيكونون سبب ضلال العباد ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ، أي لا يرجى منهم ولا من ذريتهم أي خير ، ولذلك دعا عليهم ، وفي ذلك إشارة لسعة قلب الداعية وما ينبغي أن يكون عليه من الرحمة بالعباد جميعًا إن كان يرجى منهم الخير ، وقد صبر نوح عليه السلام على ذلك مدة طويلة من الزمن ، فلما علم ذلك دعا عليهم ، وهذا ما يُشير إليه فعل النبي محمد ﷺ حيث إنه لما علم برجاء إيمان أهل الطائف الذين سلطوا عليه سفاءهم الذين رَموه بالحجارة حتى أدميت قدماه ، وقال ﷺ قولته المليئة بالرحمة : « **أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا** » [٢] .

وفي تعليل دعاء نوح عليه السلام : ﴿ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ دلالة على أن المصلحين يهتمون بإصلاح الجيل الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (٥ / ٢٩٩) .

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١) ومسلم في الجهاد ، حديث رقم (١١١) .

الأجيال الآتية ، فكلُّها سواءٌ في نظرهم [١] .

ثم دعا نوح عليه السلام بطلب المغفرة له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ، ولم يذكر ذريته وأولاده ، بل قال : ﴿ **وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** ﴾ أي : هلاكاً وخساراً للإشارة إلى استثناء زوجه وولده الذي كان مع الكافرين .

وهذا ما يشير لعلاقة المؤمن مع مجتمعه وأقاربه ، إنها علاقة المحبة والمودة لجميع الناس إلا من أصر على كفره ، أما غير المؤمن فلا رباط بينه وبينهم ولو كانوا أقرب المقربين .

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير (٢٩ / ١٩٩) .

ملخص :

المتأمِّلُ في آيات الدعاء في القرآن الكريم يجد أنها من جوامع الدعاء وأبلغه ، وقد ركزت على طلب المغفرة والدعاء للآباء والذرية وجميع المؤمنين ، وكذا الدعاء بنيل الجنة والوقاية من النار .

وكان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك .

وفي هذا البحث دراسة لأسرار الدعاء في القرآن الكريم ، تناول فيه الباحث بلاغة القرآن الكريم في تعبيره عن آيات الدعاء ، والتي تُبين إعجازه في اختيار الألفاظ المناسبة ، وأنها من جوامع الدعاء وأبلغه ، مما يرشد الداعي لتخيُّرِ الألفاظ المناسبة والتركيز على جوامع الدعاء .

كتبه

محمود أحمد سعيد الأطرش

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة